الرزق

أبوابه ومفاتحه

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:



دار القاسم

مقدمة

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة, فهدانا للإسلام, وأتم علينا هذا الدين, وأرسل علينا السماء, وأخرج لنا من كنوز الأرض, فله الحمد والشكر, وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله أجمعين وبعد:

فإن الله عز وجل قسم الأرزاق بعلمه, فأعطى من شاء بحكمته, ومنع من شاء بعدله, وجعل بعض الناس لبعض سخرياً, قال الله تعالى: ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [الزخرف: 32].

ولأن أمر المال عظيم, والسؤال عنه شديد؛ لقول النبي ﷺ: **"لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه, وعن شبابه فيما أبلاه, وعن ماله من أين**

أكتسبه وفيما أنفقه, وعن عمله ماذا عمل فيه؟" أقدم الجزء (الحادي والعشرين) من سلسلة "أين نحن من هؤلاء؟".

جعل الله سعينا في هذه الدنيا سعياً مباركاً, وجعله عوناً على الطاعة.

عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمن القاسم

مدخل

فرض الله عزّ وجل على عباده الاكتساب لطلب المعاش؛ ليستعينوا به على طاعته, قال تعالى: ﴿ **وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[الجمعة: 10]. فجعل سبحانه الاكتساب سبباً للعبادة.

وقال تعالى عن الإنسان ومحبته للمال: ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ [العاديات: 8].

وقال عز وجل آمراً عباده بعد انقضاء فريضة عظيمة هى صلاة الجمعة: ﴿ **فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ** ﴾ [الجمعة: 10].

قال الإمام البغوي: أي إذا فُرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في -حوائجكم.[1]

وكان عراك بن مالك -رضي الله عنه- إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب

---

1 (?) مختصر تفسير البغوي 2/945.

المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فرضك, وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين[1].

وقد حث الإسلام على العمل والإكتساب, فهو دين العمل والحركة والسعي في الأرض وعمارتها.

قال ﷺ: **"لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله, أعطاه أو منعه"**[2].

وأثنى النبي ﷺ على المال الصالح في يد العبد الصالح فقال: **"نعم المال الصالح للرجل الصالح"**[3].

ولم تُذم الدنيا لذاتها, إنما لما يقع فيها من المعاصي, والذنوب, وأكل المال الحرام, فالدنيا الحرام: الصارفة عن الدين, المجموعة من الحرام. أي أن تجمعها من الحرام, وتجعلها في الحرام.

---

1 (?) تفسير ابن كثير 4/471.

2 (?) متفق عليه.

3 (?) أخرجه أحمد.

قال ﷺ: **"الدنيا لأبعة رجال, رجل جمع المال من حلِّه وأنفقه في حقه فهذا بأرفع المنازل"**[1].

ورجل جمع المال من غير حلِّه, وأنفقه في حقِّه فهذا بأخبث المنازل.

ورجل جمع المال من غير حلةٍّ, وأنفقه في حقِّه فهذا بأخبث المنازل.

ورجل جمع المال من حله, وأنفقه في غير حقه فهذا بأخبث المنازل[2].

ويحتم العمل ويجب الاكتساب على من كان له عيال, أو كانت له مسئولية. فقد جعل الإسلام التقصير في حق الزوجة, والأطفال, والوالدين من الذنوب العظيمة فعن وهب بن جابر قال: شهدت عبدالله بن عمرو بن العاص في بيت المقدس وأتاه مولى له فقال: إني أريد أن أقيم هذا

---

1 (?) رواه الترمذي.
2 (?) رواه الترمذي.

الشهر هاهنا -يعني رمضان- قال له عبدالله: هل تركت لأهلك ما يقوتهم؟ قال: لا, قال: أمّا لا فراجع, فدع لهم ما يقوتهم, فإني سمعتُ رسول الله يقول: **"كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت"**[1].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله إذا نظر إلى رجل فأعجبه, قال: **"هل له من حرفة؟"** فإن قالوا: لا, سقط من عينه, قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: **"لأن المؤمن إذا لم يكن ذا حرفة تعيَّش بدينه"**[2].

والمسلم يؤجر على قوت عياله كما قال : **"دينارٌ أنفقته في سبيل الله, ودينارٌ أنفقته في رقبة, ودينارٌ تصدَّقت به على مسكين, ودينارٌ أنفقته على أهلك, أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك"**[3].

وروي عن سفيان الثوري -رحمه الله-

---

1 (?) رواه أبو داود.
2 (?) كتاب الجامع 1/34.
3 (?) رواه مسلم.

أنه قال: عليك بعمل الأبطـال. الكسـب من الحلال, والإنفاق على العيال.

وكان إذا أتاه الرجل يطلب العلم سأله هل لك وجه معيشة؟ فإن أخبره أنَّه في كفاية, أمره بطلب العلم, وإن لم يكن في كفاية أمره بطلب المعاش.

وقال أيوب السِّختياني: قال لي أبو قِلابة: يا أيوب, إلزم سوقك, فإنّ فيها غنى عن الناس، وصلاحاً في الدِّين.

وعن محمد بن سيرين عن أبيه قال: صليت مع عمر بن الخطاب المغرب, وانصرف معه جماعة من قريش, فرأى تحت إبطي رزمة فقال: ما هذا يا ابن سيرين؟ فقلت: يا أمير المؤمنين, آتي إلى السوق فأشتري وأبيع, فالتفت إلى جماعة من قريش فقال: لا يغلبنكم هذا وأشباهه على التجارة؛ فإن التجارة ثلث الإمارة[1].

وقال أبو سليمان الداراني: ليست العبادة أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك,

---

1 (?) تاريخ عمر: ص214.

ولكن ابدأ برغيفك فأحرزها, ثم تعبد[1].

والمال في يد الإنسان المسلم طريق إلى الحياة الكريمة في الدنيا, والسعادة في الآخرة؛ لأنه كما قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله, يعطي منه حقه, ويكف به وجهه عن الناس[2].

وقال ابن قدامه في تفصيل دقيق لحال طالب الدنيا: قد بينا أن المال لا يذم لذاته, بل ينبغي أن يمدح؛ لأنه سبب للتوصل إلى مصالح الدين والدنيا, وقد سماه الله تعالى خيراً, وهو قوام الآدمي. قال الله تعالى في أول سورة النساء: ﴿ **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ**﴾ [النساء: 5].

وقال أبو إسحاق السبيعي: كانوا يرون السعة عوناً على الدين.

وقال سفيان: المال في زماننا هذا سلاح المؤمنين.

وحاصل الأمر: أن المال مثل حية فيها

---

1 (?) الإحياء 2/172.

2 (?) السير 4/238.

سم وترياق, فترياقه فوائده, وغوائله سمه, فمن عرف فوائده, أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره[1].

أخي المسلم:

اعلم أنَّ المال لا يُذم لذاته, بل يقع الذم لمعنى من الآدمي, وذلك المعنى إما لشدة حرصه, أو تناوله من غير حلِّه, أو حبسه عن حقه, أو إخراجه في غير وجهه, أو المفاخرة به, ولهذا قال الله تعالى: ﴿ **أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ [التغابن: 15].

وفي سنن الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: **"ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم, بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"**[2].

وقد كان السلف يخافون فتنة المال. وكان عمر رضي الله عنه إذا رأى الفتوح يبكي ويقول: ما حبس الله هذا عن نبيه ﷺ

---

1 (?) مختصر منهاج القاصدين ص214.

2 (?) رواه الترمذي.

وعن أبي بكر لشرٍ إراده الله بهما, وأعطاه عمر إرادة الخير له.

وقال يحيى بن معاذ: الدرهم عقرب, فإن لم تسحن رقيته فلا تأخذه؛ فإنه إن لدغك قتلك سمه. قيل: ما رقيته؟ قال: أخذه من حِله, ووضعه في حقِّه.

وقال في صاحب حق المال: مصيبتان للعبد في ماله عند موته لا تسمع الخلائق بمثلهما, قيل: ما هما؟ قال: يؤخذ منه كله, ويُسأل عنه كله[1].

ودين الإسلام دين التوكل لا التواكل, ودين السعي لا الخمول.

قال عمر رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم أرزقني؛ فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة[2].

وقال محمد بن المنكدر في كلمات

---

1 (?) مختصر منهاج القاصدين ص213.

2 (?) الإحياء 2/71.

جميلة عن المـال: نعم العـون على تقـوى الله -عز وجل- الغنى[1].

أخي المسلم:

هي القناعة لا تبغ بها
فيها النعيم وفيها راحة
انظر لمن ملك الدنيا

أخي الحبيب:

اعلم أنه ليس من الزهد ترك المال, وبذله على سبيل السخاء والقوة واستمالة القلوب, إنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة, ومن عرف أن الدنيا كالثلج يذوب, والآخرة كالدر يبقى, قويت رغبته في بيع هذه بهذه[3].

وقد كان زهد السلف في الدنيا خوف الوقوع في الحرام, قال مزمل: دخلت على سفيان وهو يأكل طبهاج (اللحم المشرح) ببيض فكلمته في ذلك, فقال: لم آمركم أن

---

1 (?) حلية الأولياء 2/149.
2 (?) التذكرة ص102.
3 (?) منهاج القاصدين ص355.

لا تأكلوا طيباً, اكتسبوا طيباً وكلوا[1].

وقال علي بن الفضيل: سمعت أبي وهو يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة, ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام, كيف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي إنما أفعل ذا؛ لأصون به وجهي, وأكرم به عرضي, وأستعين به على طاعة ربي[2].

---

1 (?) السير 7/277.

2 (?) تاريخ بغداد 10/160.

أسباب الرزق

أسباب الرزق كثيرة متنوعة من أهمها:

لزوم التقوى, قال الله تعالى: **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** [الأعراف: 69]. وقال تعالى في ذكر الإستغفار والتوبة وفوائدهما: **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** [نوح: 10].

ومن أعظم الأسباب الجالبة للرزق:

ترك الذنوب والمعاصي, فإنها تحرم خيري الدنيا والآخرة.

قال تعالى: **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** [الشورى: 30] أي بجنايتكم على أنفسكم, فقد سمَّى جناية المرء على نفسه كسباً.

وقال ﷺ: **"إن الرجل ليُحْرم الرزق بالذنب يصيبه"**[1].

قيل لرجل من الفقهاء: من يتق الله يجعل له مخرجًا, ويرزقه من حيث لا يحتسب, فقال الفقيه: والله, إنه ليجعل لنا المخرج, وما بلغنا من التقوى ما هو أهله وإنه ليرزقنا وما اتقيناه, وإنا لنرجو الثالثة, ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته, ويعظم له أجراً[2].

وقال بعض السلف متعجباً ممن يعصي الله عز وجل كيف يرزقه الكريم الحليم, فقال: عجبت لمن يصلي الصبح بعد طلوع الشمس كيف يرزق؟!

أين نحن من هؤلاء:

لم تكن الدنيا أكبر همهم ومبلغ سعيهم, فلم تلههم, كانوا يعرفون نعم الله عز وجل الأخرى, وأعظمها وأهمها, وأكملها وأتمها نعمة الإسلام, ثمَّ نعمة الصحة والعافية, والأمن في الأوطان: **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ**

---

1 (?) رواه أحمد.

2 (?) حلية الأولياء 4/248.

اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: 34].

عن الحسن بن صالح قال: ربَّما أصبحت ما معي درهم, وكأن الدنيا كلها قد حيزت لي[1].

ولقد كان ارتباطهم بالله عز وجل قوياً, وخوفهم من المعاصي شديداً, ولهـذا يـرون أثر المعاصي لقلتها في دوابهم وزوجـــاتهم وأبنائهم!

فقد أغلظ رجل لوكيع بن الجـــراح, ثم دخل وكيع بيتاً فعفر وجهه بالتراب, ثم خرج إلى الرجل فقال زد وكيعاً بذنبه, فلــولاه ما سُلطت عليه[2].

وكان المال وسيلة عندهم, والمآل والمنتهى والمطلب هو جنة عدن, ولهذا تدور إجاباتهم وهمومهم على الآخرة, فهى غاية المطالب, وأسمى المنازل.

قيل لأبي حازم الزاهد ما مالك؟ قال: مالان, لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله,

---

1 (?) تذكرة الحفاظ 1/217.

2 (?) تاريخ بغداد 13/503.

واليأس مما في أيدي الناس[1].

اضرع إلى الله لا تضرع

واقنع بياس فإن العز في

واستغني عن ذي قربى

عن الناس[2]

ومن يسَّر الله له المال, وساق إليه الخيرات, فليشكر الله على نعمه, وليستعملها في طاعته, ويفرقها ذات اليمين والشمال في اصحاب الحقوق, وقضاء الحوائج.

قال ابن تيمية: "ثم ينبغي له أن يأخذ المال بسخاوة نفس؛ ليبارك له فيه, من غير أن يكون له في القلب مكانة, والسعي فيه إذا سعى كإصلاح الخلاء".

ثم قال رحمه الله: "فيكون المال عنده يُستعمل في حاجته يمنزلة حماره الذي يركبه, وبساطه الذي يجلس عليه, بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته من

---

1 (?) جامع العلوم والحكم ص353.

2 (?) مكاشفة القلوب ص181.

غـير أن يسـتعبده, فيكـون هلوعـاً, إذا مسه الشر جزوعاً, وإذا مسه الخير منوعاً".

ورزق الله مكتوب مقدر, لا يجلبه حرص حريص, ولا يدفعه كسل كسول, فإن الله عز وجل قسم الأرزاق بعلمه وعدله, ولهذا كفر من قال: **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي** إنما هي منحة ربانية؛ ليبتلي عباده بها!

قـــالت مـــريم البصـــرية: ما أهتممت بالرزق ولا تعبت في طلبه منذ سـمعت الله عز وجل يقول:

وَفِي السَّـــــمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ [الذاريات: 22].

أخي المسلم:

إذا سُدَّ باب عنك من دون حاجة
فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه
ويكفيك سوآت الأمور اجتنابها
ولاتك مبذالاً لعرضك واجتنب
ركوب المعاصي يجتنبك عقابها[1]

[1] (?) الإحياء 3/254.

وحذر النـبي أن تكـون الـدنيا وطعامها هَمَّ المسلم وديدنه في ليله ونهاره, تشـغله عن الطاعـة, وتصـرفه عن العبـادة, قـال : **"من أصـبح والـدنيا أكـبر همِّه, جعل الله فقـره بين عينيـه, وشـتَّت عليه شمله, ولم يأته من الدنيا إلا ما قُـدِّر لـه, ومن أصـبح والآخـرة أكـبر همه جعل الله غناه في قلبـه, وجمع عليه شـمله, وأتته الـدنيا وهي راغمـة, وكان الله بكل خير إليه أسرع"**[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فهذا هو الفقر الحقيقي والغنى الحقيقي, وإذا كان هذا غنى من كانت الآخرة أكبر همه فكيف من كان الله سبحانه أكبر همه؟ فهذا من باب التنبيه والأولى[2].

وقد وردت آيات كثيرة نصت على الترف والمترفين, وسوء ذلك على نفوس الكثير. قال تعالى: **حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ**

---

1 (?) رواه الترمذي وصححه الألباني.

2 (?) طريق الهجرتين ص 45.

[المؤمنون: 64] وقال تعالى عن أصحاب الشمال: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ** ﴾[الواقعة: 45] وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾ [الإسراء: 16] وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ [سبأ: 34].

والأمر في الأموال والدور والقصور, مثلما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تصنيفه لفئات الناس مع المال: "والفقر يصلح عليه خلق كثير, والغنى لا يصلح عليه إلا أقل منهم, ولهذا كان أكثر ما يدخل الجنة المساكين؛ لأن فتنة الفقر أهون, وكلاهما يحتاج إلى الصبر والشكر, لكن لما كان في السراء اللذة وفي الضراء الألم, اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء".

ولهذا مال الإنسان محدود الفائدة في ذاته إما لقمة يأكلها, أو ثوباً يلبسه أو مركباً يركبه, أما من اراد به الله الخير فهو ينفق منه, ويتصدَّق ويواسي ويفرج, فهذا نعم المال!

قال ﷺ: **"يقول ابن آدم مالي! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت, أو لبست فأبليت, أو تصدقت فأمضيت"**[1].

قال يحيى بن معاذ: مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة[2].

ومن هذا الخوف والوجل كانوا يحتاطون لأنفسهم, ويحاسبونها؛ رغبة في النجاة, وخوفاً من الوقوع في الهلاك.

قــال خــرمي بن يــونس: ســمعت أبا يوسف الغولي يقول: أنا أتفقه في مطعمي من ستين سنة.

وكان أبو حنيفة خزازاً يبيع الخز, فـروي

---

1 (?) رواه مسلم.
2 (?) تاريخ بغداد 14/212.

أن رجلاً جاءه فقال: يا أبا حنيفة قد احتجت إلى ثـوب خـز, فقـال: ما لونـه؟ قـال: كـذا وكذا, قال: اصبر حتى يقع, وآخذه لــك, فما دارت الجمعة حــتى وقــع, فجــاءه الرجل فقـال له أبو حنيفـة: قد وقعت حاجتـك, ثم أخرج إليه ثوباً فأعجبـه, فقـال: يا أبا حنيفة كم أزن للغلام؟ فقال درهمـاً, فقـال: أتهـزأ بي قــــال: لا والله إني اشـــــتريت ثـــــوبين بعشـــــرين دينـــاراً ودرهم, فبعت أحــــدهم بعشرين ديناراً, وبقى هذا بدرهم, وما كانت لأربح على صديق. فأخذه![1].

قال سفيان الثوري: انظر درهمك من أين هو, وصل في الصف الأخير[2].

وقال محمد بن سيرين: كان يقال: المتعلم المسلم عند الدرهم[3].

وغالب الناس اليوم ينطبق عليهم قول الشاعر:

نُرقع دنيانا بتمزيق ديننا

فلا ديننا يبقى ولا ما

1 (?) مناقب أبي حنيفة للموفق 1/196.

2 (?) حلية الأولياء 7/68.

3 (?) الزهد للبيهقي ص 362.

ولهذا قلت الدمعة في المآقي, وندر البكاء من خشية الله.

قال سهل رحمه الله: لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال[1].

وعندما رأى عطاء بن يسار رجلاً في المسجد فدعاه فقال: هذه سوق الآخرة, فإن أردت البيع فأخرج إلى سوق الدنيا[2].

وروي عن خالد البلوي قال: جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال: أرشدت إليك تبيعني ثوبين أريدهما لأمي وزوجتي, وأحسن بيعي, فقال له, أي لون تريد؟ فوصف له. فقال: انتظرني جمعتين, قال: نعم. فذهب, ثم جاء بعد ذلك فدفع إليه ثوبين وديناراً واحداً وقال: إني لم أخسر عليك, إني جعلت لك بضاعة فرزقت من عند الله عز وجل, فأحمده فقلت له, أو قيل له: يا أبا حنيفة هل ذكرت بينكما معرفة قديمة؟ قال: لا. ألم تسمع إلى قوله: (وأحسن بيعي).

---

1 (?) الإحياء 40/170.

2 (?) الورع للإمام أحمد بن حنبل ص51.

قال سعيد بن جبير: إذا قال الرجل للرجل: أحسن بيعي فقد ائتمنه, فلم أكن أبقي من الإحسان شيئاً إلا أتيته؛ لتسلم لي أمانتي[1].

وعن علي بن حفص البزاز قال: كان حفص بن عبدالرحمن شريك أبي حنيفة, وكان أبو حنيفة يجهز عليه, فبعث إليه في رفقة بمتاع, وأعلمه أن في ثوب كذا وكذا عيباً, فإذا بعته فبيِّن. فباع حفص المتاع ونسي أن يبيِّن ولم يعلم ممن باعه, فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كُلِّه[2].

أخي الحبيب: أين نحن من هؤلاء:

قال مسلمة بن عبدالملك: دخلتُ على عمر بن عبدالعزيز بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر, فلا يدخل عليه أحدٌ, فجاءته جارية بطبق عليه تمرُ صيحاني, وكان يُعجبه التمر, فرفع بكفِّه منه, فقال يا

---

1 (?) مناقب أبي حنيفة للموفق 1/241.

2 (?) تاريخ بغداد 13/358.

مســـلمة, أتـــرى لو أن رجُلاً أكل هـــذا, ثم شـــرب عليه من المـــاء -على التمر طيب- أكـــــان مُزجئه إلى الليــــل؟ قلتُ: لا أدري. قال: فرفع أكثر منه فقال: هـذا؟ قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين, كان كافيه دون هذا, حتى ما يُبـالي أن لا يـذوق طعامـاً غـيره. قـال: فعلامَ يدخل النار؟ قال مسـلمة: فما وقعتْ مني موعظة ما وقعتْ هذه[1].

وعن مزمل قال: سمعت وهيباً (ابن الورد) يقول لو قمت قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك حلال أو حرام.

وعندما نظر حذيفة المرعشي إلى الناس يتبادرون إلى الصف الأول, فقال: ينبغي أن يتبادروا إلى أكل خبز الحلال, ولا يُتبادر إلى الصف الأول[2].

والشيطان في صراع وجهاد لإغواء المسلم وصده عن سبيل الله.

---

1 (?) الورع لأحمد ص63.

2 (?) الزهد للبيهقي ص 253.

قال يوسف بن أسباط: إذا تعبد الشاب يقول إبليس: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعمه مطعم سوء, قال: دعوه, لا تشتغلوا به, دعوه يجتهد وينصب, فقد كفاكم نصيبه[1].

وقد يجعل الله عز وجل نعمة المال استدراجاً لمن عصاه وخالف أمره, كما سمعنا ذلك عن أمم سابقة, ورأينا ذلك في أمم ودولٍ معاصرة, قال تعالى: **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** [النحل: 112].

قال شعيب بن حرب: لا تحقرنَّ فلساً تطيع الله في كسبه, ليس الفلس يراد, إنما الطاعة تراد, عسى أن تشتري به بقلاً

---

1 (?) الزهد للبيهقي ص359.

فلا يستقر في جوفك حتى يغفر لك[1].

أرى حُللاً تُصان على أناسٍ
وأخلاقاً تداس فلا تصانُ
يقولون الزمان به فساد
وهم فسدوا, وما فسد الزمانُ

قال بعض السلف: لترك دينار مما يكره الله, أحب إلي من خمسمائة حجة[2].

ولهذا قال الحسن: رأيت سبعين بدريًّا كانوا فيما أحلَّ الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم[3].

المال يذهب حلّه وحرامه
طراً ويبقى في غدٍ آثامه
ليس المتقي بمتق لإلهه
حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما تحوى وتكسب كفُّه
ويكون في حسن الحديث كلامه[4]

أما صدق الحديث في البيع والشراء

---

1 (?) صفة الصفوة 3/10.
2 (?) الورع لابن أبي الدنيا.
3 (?) حلية الأولياء 4/255.
4 (?) حلية الأولياء 2/349.

فإنك ترى العجب من حال أولئك!

حدثنا زياد بن الربيع عن أبيه: قال رأيت محمداً بن واسع يمر ويعرض حماراً له على البيع فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أبعه[1].

وجاء مجمع التيمي بشاة يبيعها, فقال: إني أحسب أو أظن في لبنها ملوحةً.

وجاء يوسف بن عبيد بشاةٍ, فقال: بعها وابرأ من ....

... أنها تقلب المعلف, وتنزع الوتد, ولا تبرأ بعد ما تبيع, بيِّن قبل أن تبيع[2].

أين نحن من هؤلاء؟!

عن السري بن يحيى قال: لقد ترك ابن سيرين ربح أربعين ألفاً في شيء دخله[3].

وعن ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبةً من الشريك لشريكه, وحتى يعلم من أين

---

1 (?) الورع لابن أبي الدنيا ص104.
2 (?) الورع لابن أبي الدنيا ص104.
3 (?) صفة الصفوة 3/244.

ملبسه, ومطعمه, ومشربه[4].

وكانت الزوجة والابنة الصالحة تعين على الحلال واستطابة المطعم.

قالت ابنة العدوية لأبيها: يا أبتِ, لست أجعلك في حلٍ من حرام تطعمنيه. فقال لها: أرأيت إن لم أجد إلا حراماً. قالت: نصبر في الدنيا على الجوع, خير من أن نصبر في الأخرة على النار.

وقال المعافى بن عمران: كان عشرة فيمن مضى من أهل العلم, ينظرون في الحلال النظر الشديد, لا يدخلون بطونهم, إلا ما يعرفون من الحلال, وإلا استفُّوا التراب, ثم عد بشر, وإبراهيم بن أدهم, وسليمان الخواص, على بن الفضيل, وأبا معاوية الأسود ويوسف بن اسباط, ووهيب بن الورد, وحزيفة شيخ من أهل حران, وداود الطائي, فعد عشرة كانوا لا يدخلون بطونهم إلا ما يعرفون من الحلال, وإلا استفُّوا التراب[1].

---

4 (?) السير 5/74.

1 (?) الورع للإمام أحمد ص10.

وكان بشرٌ يقول: ينبغي للرجل أن ينظر خـبزه من أين هـو؟ ومسـكنه الـذي سـكنه أصله من أي شيء؟ ثم يتكلم[1].

وقــال علي بن شــعيب, قــال لي أبي: كنت قلْت عند فلان, قـال: فقـال لي: أكلت عنده؟ قلت: نعم قال: احْمِد ربك, أكلت مـا لا تُسأل عنه, يعني عن كسبه[2].

وقال أبو يوسف الغسولي: إنه ليكفيني في السنة اثنا عشـر درهمـاً, في كـل شـهر درهم, ومـا يحملـني على العمـل إلا ألْسـنَةُ هؤلاء القرَّاء, يقولـون: أبـو يوسـف من أين يأكل؟

وكان يقول: أنـا أتفقـه في مطعمي من ستين سنة.

وسأل خلف بن تميم, إبــراهيم بن أدهم فقال: منذ كم قدمت الشام؟ قال: منذ أربع وعشرين سـنة, مـا جئت لربـاط ولا لجهـاد, جئت لأشبع من خبزٍ حلال.

وقال ابن المبـارك: رد درهمٍ من شـبهة

---

1 (?) الورع للإمام أحمد ص10.

2 (?) الورع للإمام أحمد ص10.

أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف درهم, ومائة ألف, حتى بلغ إلى ستمائة ألف[1].

وتأمل في سؤال فقهي: ليس المراد الجواب.. بل في السؤال تحرز وبراءة للذمة!

سُئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه ثلاثة دراهم منها درهم لا يعرفه. قال رحمه الله: لا يأكل منها شيئاً حتى يعرفه.

وكان الحجاج بن دينار قد بعث طعاماً إلى البصرة مع رجل, وأمره أن يبيعه يوم يدخل لسعر يومه, فأتاه كتابه أني قدمت البصرة فوجدت الطعام منقصاً فحبسته, فزاد الطعام, فازددت كذا وكذا, فكتب إليه الحجاج: إنك قد خنتنا, وصلت بخلاف ما أمرناك به, فإذا أتاك كتابي فتصدَّق بجميع ذلك الثمن -ثمن الطعام- على فقراء البصرة, فليتني أسلم إذا فعلت ذلك[2].

وكانوا يتواصون بالحرص على القليل من الحلال؛ ففيه غنية وبركة ..

---

1 (?) الإحياء 2/103.

2 (?) جامع العلوم والحكم ص132.

قال بشر بن الحارث: ما ينبغي للرجل أن يشبع اليوم من الحلال؛ لأنه إذا شبع من الحلال دعته نفسه إلى الحرام, فكيف على هذه الأقدار اليوم[1]؟!

ومن يحمد الدنيا لعيش
فسوف لعمري على
إذا أدبرت كانت على
همومها[2]

أخي المسلم:

كان عمرو بن قيس الملائي إذا نظر إلى أهل السوق قال: ما أغفل هؤلاء عما أُعد لهم[3]!

وكان يونس بن عبيد يشتري الإبرسيم في البصرة، فيبعث به إلى وكيله بالسوس، وكان وكيله يبعث إليه بالخز، فإن كتب وكيله إليه أن المتاع عندهم زائد لم يشتر منهم أبدًا، حتى يخبرهم أن وكيله كتب إليه

1 (?) الورع للإمام أحمد ص 7.
2 (?) الإحياء 3/221.
3 (?) صفة الصفوة 3/124.

أن المتاع عندهم زائد[1].

---

1 (?) حلية الأولياء 3/15.

أخي الحبيب:

يريد المرء أن يعطى مناه
ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي
وتقوى الله أفضل ما

جـاء رجـل من أهـل الشـام من سـوق الخزازين, فقال المطرف بأربعمائـة, فقـال يـونس بن عبيـد: عنـدنا بمـائتين, فنـادى المنادي بالصـلاة, فـانطلق يـونس إلى بـني قشير؛ ليصلي بهم, فجاء وقد بـاع ابن أختـه المطـرف من الشـامي بأربعمائـة, فقـال يـونس: مـا هـذه الـدراهم؟ قـال: ذاك المطرف بعناه من ذا الرجل, قال يونس: يا عبدالله هذا المطرف الـذي عرضـت عليـك بمائتي درهم فإن شئت خـذه, وخـذ مـائتين وإن شئت فدعه[1].

حدث: أحمد بن حفص: دخلت على أبي الحسـن. يعـني إسـماعيل. والـد إبـراهيم عبدالله البخاري عنـد موتـه, فقـال: لا أعلم من مـالي درهمـاً من حـرام ولا درهمـاً من

---

1 (?) حلية الأولياء 3/15.

شبهةٍ.

قال أحمد: فتصـاغرتْ إليَّ نفسـي عنـد ذلك, ثم قال أبو عبدالله: أصـدق مـا يكـون الرجل عند الموت[1].

ورحم الله الصاحبي الجليل أبا الدّرداء إذ يقول: من فقه الرَّجل المسلم استصلاحه معيشته.

وقال رضي الله عنه صلاح المعيشة من صلاح الدين, وصلاح الدين من صلاح العقل.

وقال: ليس من حُبِّك الدُّنيا التماسُك بما يصلحك منها[2].

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه موجِّهًا القرَّاء: يا معشر القرَّاء, استبقوا الخيرات, وابتغوا من فضل الله, ولا تكونوا عيالاً على الناس[3].

ويحكى عن مبارك أبي عبدالله: أنه كان يعمل في بستان لمولاه, وأقام فيه زماناً, ثم أن مولاه صاحب البستان وكان أحد

---

1 (?) السير 12/447.

2 (?) جامع بيان العلم وفضله 2/15.

3 (?) جامع بيان العلم وفضله 2/15.

تُجار همذان جاءه يوماً, وقال له: يا مبارك, أريد رمانًا حلواً.

فمضى مبـــارك إلى بعض الشـــجر, وأحضر منها رمانا, فكسـره مـولاه, فوجـده حامضـاً, فحـرد عليـه, وقـال: أطلب الحلو فتحضر لي الحامض! هات حلواً.

فمضى وقطع من شـجرة أخـرى, فلما كسره سـيده وجـده أيضـاً حامضـاً, فاشـتد حرده عليه, وفعل ذلك مـرة ثالثـة, فذاقـه, فوجد أيضا حامضاً, فقال له بعد ذلك:

أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟

فقال: لا.

فقال: وكيف ذلك؟

فقال: لآني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه.

فقال: ولِمَ لم تأكل؟

قال: لأنك ما أذنت لي بالأكل منه.

فعجب صاحب البستان من ذلك, ولما تبين له صدق عبده؛ عظم في عينه, وزاد قدره عنده. وكانت له بنتُ خطبت كثيراً,

فقال له: يا مبارك, من ترى تزوج هذه البنت؟

فقال: أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحسب, واليهود للمال, والنصارى للجمال, وهذه الأمة للدين.

فأعجبه عقله, وذهب فأخبر به زوجته, وقال لها: ما أرى لهذه البنت زوجاً غير مبارك.

فتزوجهـا, وأعطاهما أبوها مـالاً كثـيراً, فجـــاءت بعبدالله بن المبـــارك, العـــالم, المحدث, الزاهد, المجاهد, الذي كان أكـرم ثمرة زواجٍ على أبويه في آفاق زمانه, حتى قـــال فيه الفضـــيل بن عيـــاض رحمه الله تعالى ويقسم على قوله: "وربَّ هذا البيت, ما رأت عيناي مثل ابن المبارك"[1].

واليـوم وقد كـثر الغش, والخـداع, في واقع حياة بعض الناس, ندر أن تجد الصادق الصدوق في أداء الامانة, المبتعد عن الغش

---

1 (?) وفيـات الأعيـان 2/237 والتـبر المسـبوك ص85.

والخديعة!

وإن كانت نتيجة المعصية واضحة معلومة في الآخرة, فإن مآلها في الدنيا أقرب!

ذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى في خلافته عن مَذق اللبن بالماء (أي مزجه به), فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة, فإذا بامرأة تقول لابنةِ لها: ألا تمذُقين لبنك فقد أصبحت؟

فقالت الجارية: كيف أمذُق وقد نهى أمير المؤمنين عن المَذق؟

فقالت: قد مذق الناس فامذُقي, فما يدري أمير المؤمنين؟

فقالت: إن كان عمر لا يعلم, فإله عمر يعلم ما كنت لأفعله وقد نهى عنه.

فوقعت مقالتها من عمر, فدعا عاصماً ابنه, فقال:

يا بُني, اذهب إلى موضع كذا وكذا, فاسأل عن الجارية -ووصفها له-.

فذهب عاصم, فإذا هى جارية من بني

هلال, فقال له عمر:

اذهب يا بُني, فتزوجها, فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب.

فتزوجها عاصم بن عمر, فولدت له أمُ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب, فتزوجها عبدالعزيز بن مروان بن الحكم, فأتت بعمر بن عبدالعزيز[1].

واما أثر المال الحرام فواضح, حتى وإن كان المال قليلاً والرجل مجاهداً..

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي فقالوا: فلان شهيد, وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد, فقال النبي : **"كلا إني رأيته في النار في بُردةٍ غلها -أو عباءة-"**[2].

أين نحن من هؤلاء؟

قـال بشـر بن المفضـل: جـاءت امـرأة بمطـرف خـز إلى يـونس بن عبيـد تعرضـه

---

1 (?) سيرة عمر بن عبـدالعزيز لابن عبـدالحكم ص22.

2 (?) رواه مسلم.

عليه, فقال لها: بكم؟ قالت: بستين درهمًا, فألقاه إلى جـاره, فقـال: كيـف تـراه؟ قـال بعشـرين ومائـة, قـال: أرى ذلـك ثمنـه, أو نحواً من ثمنه, فقال لها: اذهبي فاسـتأمري أهلـك في بيعـه بخمسـة وعشـرين ومائـة, قالت: قـد أمـروني أن أبيعـه بسـتين, قـال: ارجعي فاستأمريهم[1].

وحُمـــل إلى الإمـــام البخـــاري بضـــاعة أنفذها إليه أبو حفص أحد أخص تلامذة أبيه, فاجتمع بعض التجار إليه بالمعيشة وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم.

فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجـاءه الغـد تجـار آخـرون فطلبـوا منـه البضـاعة بـربح عشرة آلاف درهم, فردهم, وقال إني نويت البارحـــة أن أدفعهـــا إلى الأولين, فـــدفعها إليهم وقال: لا أحب أن أنقض نيتي[2].

فكان رحمه الله يريد أن يعوِّد نفسه على الإيثار, والبعد عن حب المال الذي يعد من الصفات القبيحة.

---

[1] (?) السير 6/290 وحلية الأولياء 3/16.

[2] (?) مقدمة الفتح ص749.

كم رأينا من جمع المال ولم يتمتع به فأبقاه لغيره وأفنى

نفسه كما قال الشاعر:

كدودة القز ما تبنيه

وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

لما رأي المتيقِّظون سطوة الدنيا بأهلها, وخداع الأمل لأربابه, وتملك الشيطان, وقياد النفوس, ورأوا الدولة للنفس الأمارة, لجئوا إلى حصن التضرع والالتجاء كما يأوي العبد المذعور إلى حرم سيده[1].

أخي المسلم:

ما أخذ العبد ما حرم عليه إلا من جهتين:

إحداهما: سوء ظنه بربه, وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيراً منه حلالاً.

والثانية: أن يكون عالماً بذلك, وأن من ترك شيئاً أعاضه خيراً منه, ولكن تغلب شهوته صبره, وهواه عقله. فالأول من ضعف علمه, والثاني من ضعف عقله

---

1 (?) الفوائد ص62.

وبصيرته.

قال يحيى بن معاذ: من جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يرده.

قلت: إذا اجتمع عليه قلبُه, وصدقت ضرورته وفاقته, وقوي رجاؤه, فلا يكاد يرد دعاؤه[1].

قال الحسن: إن هذه المكاسب قد فسدتْ, فخذوا منها القوت, أي شبه المضطر[2].

---

1 (?) الفوائد ص62.

2 (?) الورع لابن أبي الدنيا ص111.

كثرة المال ونتاجه

قال عز وجل: ﴿ **وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ** ﴾[الرعد: 26].

فالأموال والدور والقصور متاع قليل.. سنوات تمضي, وأيام تنتهي, وأنفاس لا تعود! ثم الحساب والجزاء..

قال خالد بن صفوان: بتّ ليلتي, أتمنى, فكسبت البحر الأخضر, والذهب الأحمر, فإذا يكفيني من ذلك رغيفان, وكوزان, وطمران[1].

وقال إسحاق بن جبلة: دخل الحسن بن صالح يوماً السوق, وأنا معه, فرأى هذا يخيط, وهذا يصبغ, فبكى وقال: انظر إليهم يتعللون حتى يأتيهم الموت[2].

قال الحسن: والله, ما أحد من الناس بسط الله له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مكر له فيها إلا كان قد نقص عمله, وعجز رأيه, وما أمسكها الله عن عبد, فلم

---

1 (?) أدب الدنيا والدين ص121.

2 (?) السير 7/270.

يظن أنه خـــير له فيهـــا, إلا كـــان قد نقص عمله, وعجز رأيه[1].

وكان همهم الآخرة وعيـونهم تجـاه يـوم عظيم..

قال موسى بن المغـيرة: رأيت محمـداً بن سيرين يدخل السوق نصف النهار, يكـبر ويسبح ويذكر الله عز وجل فقـال له رجـل: يا أبا بكر في هذه الساعة؟ قال: إنها ساعة غفلة[2].

وقال مالك بن دينار: اتخذْ طاعةَ الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة[3].

أخي المسلم:

فَـرِّغْ خـاطرك للهمِّ بما أُمـرتَ بـه, ولا تشـغله بما ضُـمن لـك, فـإن الـرزق والأجل قرينان مضمونان. فما دام الأجل باقياً, كان الـرزق آتيـاً. وإذا سد عليك بحكمته طريقـاً من طرقه, فتح لك برحمته طريقـاً أنفع لك منـه. فتأمل حـال الجـنين يأتيه غـذاؤه, وهو الـدم, من طريق واحـدة وهو السـرة, فلما

1 (?) الجامع لأحكام القرآن 6/274.

2 (?) صفة الصفوة 3/245.

3 (?) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص27.

خــرج من بطن الأم وانقطعت تلك الطريق فتح له طــريقين اثــنين, وأجــرى له فيهما رزقــاً أطيب وألذ من الأول لبنــاً خالصــاً سـائغاً. فـإذا تمت مـدة الرضـاع, وانقطعت الطريقان بالفطـام, فتح طرقـاً أربعة أكمل منهـا: طعامـان وشـرابان, فالطعامـان من الحيـوان والنبـات, والشـاربان من الميـاه والألبـان, وما يضـاف إليهما من المنـافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربعة لكنه -سـبحانه - فتح لــه- إن كـان سـعيداً - طرقـاً ثمانيـة, وهى أبـواب الجنة الثمانية, يدخل من أيها شاء.

فهكـذا الـرب سـبحانه لا يمنـع عبـده المـؤمن شـيئاً من الـدنيا, إلا ويؤتيـه أفضـل منـه وأنفـع لـه. وليس ذلـك لغـير المـؤمن. فإنــه يمنعــه الحــظ الأدنى الخســيس, ولا يرضى له به؛ ليعطيه الحظ الأعلى النفيس. والعبد لجلهله بمصالح نفسـه وجهلـه بكـرم ربه وحكمته ولطفه, لا يعـرف التفـاوت بين ما منع منه وبين ما ذُخِـر لـه. بـل هـو مولـع بحب العاجل وإن كـان دنيئـاً, وبقلـه الرغبـة

في الآجل وإن كان علياً. ولـو أنصـف العبـد ربـه, وأنى لـه ذلـك؟ لعلم أن فضـله عليـه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمهـا, أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك, فما منعه إلا ليعطيه, ولا ابتلاه إلا ليعافيـه, ولا امتحنـه إلا ليصافيه, ولا أماته إلا ليحييـه, ولا أخرجـه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه, وليسلك الطريق الموصلة إليه. قال تعـالى: ﴿ **جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَـارَ خِلْفَـةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** ﴾ [الفرقان: 62], ﴿ **فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا** ﴾[الإسراء: 99]. والله المستعان[1].

قد نادت الدنيا على

لو كان في العالم من

كم واثق بالعمر واريتيه

وجامع بدّدت ما يجمع[2]

قال سعيد بن مسعود: إذا رأيت الرجل تزداد دنياه على آخرته وهو به راض, فذلك

1 (?) الفوائد ص75.

2 (?) تاريخ بغداد 4/66.

المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر[1].

وكان ابن السماك يقول: يا بن آدم إنما تغدو في كسب الأرباح, فاجعل نفسك فيما تكسبه أنَّك لم تكسب مثلها[2].

ومن ينفق الساعات في الفقر[3]

[1] (?) الإحياء 3/223.
[2] (?) صفة الصفوة 3/174.
[3] (?) مفتاح دار السعادة 1/100.

فوائد المال

فوائد المال تنقسم إلى دنيوية ودينية:
أما الدنيوية, فالخلق يعرفونها, ولذلك تهالكوا في طلبها. وأما الدينية فتنحصر في ثلاثة أنواع:

أحدها: أن ينفقه على نفسه, إما في عبادة, كالحج والجهاد, وإما في الاستعانة على العبادة, كالمطعم, والملبس, والمسكن, وغيرها من ضرورات المعيشة, فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر, لم يتفرغ القلب للدين والعبادة, وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به, فهو عبادة, فأخذ الكفاية من الدنيا للاستعانة على الدين من الفوائد الدينية, لا يدخل في هذا التوسع والزيادة على الحاجة, فإن ذلك من حظوظ الدنيا.

النوع الثاني: ما يصرفه إلى الناس, وهو أربعة أقسام:

أحدها: الصدقة وفضائلها كثيرة مشهورة.

القسم الثاني: المروءة, نعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في

ضيافة وهدية, وإعانة ونحو ذلـك, وهـذا من الفوائد الدينية, إذ به يكتسب العبد الإخـوان والأصدقاء.

القسم الثـالث: وقاية العـرض نحو بـذل المـال لـدفع هجو الشـعراء, وثلب السفهاء, وقطع ألسنتهم, وكف شرهم, فهو من الفوائد الدينية, فـإن النـبي قـال: **"ما وقى الرجل به عرضه فهو صـدقة"** وهـذا لأنه يمنع العتـاب من معصـية الغيبـة, ويحـرز مما يثـير كلامه من العـداوة الـتي تحمل في الانتقـام على مجـاوزة حـدود الشريعة.

القسم الرابع: ما يعطيه أجراً على الاستخدام, فإن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لمهنة أسبابها كثيرة, ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته, وتعذر عليه سلوك الآخرة بالفكر, والذكر, اللذين هما أعلى مقامات السالك, ومن لا مال له يفتقر إلى أن يتولى خدمة نفسه بنفسه, فكل ما يتصور أن يقوم به غيرك, ويحصل بذلك غرضك, فإن تشاغلك به غبن؛ لان احتياجك

إلى التشاغل بما لا يقوم به غيرك من العلم والعمل والذكر والفكر أشد.

النوع الثالث: ما لا يصرفه الإنسان إلى معين, لكن يحصل به خيراً عاماً, كبناء المساجد والقناطر, والوقوف المؤبدة. فهذه جملة فوائد المال في الدين, سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة ومن الخلاص من ذلك السؤال, وحقارة الفقر, والعز بين الخلق والكرامة في القلوب, والوقار[1].

أخي المسلم:

كان السلف يخشون النعم أن تكون استدراجاً لهم, ولهذا قال بعضهم: من سأل الله الدنيا فإنما يسأل طول الوقوف للحساب[2].

وكان أبو الدرداء يقول: اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع لي في كل نفق مالاً[3].

---

1 (?) منهاج القاصدين ص214 وما بعدها.

2 (?) الإحياء 2/224.

3 (?) صفة الصفوة 1/639.

والكنز ورأس المال في هذه الدنيا, ما قاله علي بن الحسين: من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس[4].

نصيبك مما تجمع الدهر
ردان تلوى فيهما وحنُوط

أخي المسلم:

الدراهم أربعة: درهم اكتُسِب بطاعة الله وأُخرج في حق الله, فذاك خير الدراهم, ودرهم اكتسب بمعصية الله, وأُخرج في معصية الله, فذاك شرُّ الدراهم, ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأُخرج في أذى مسلم, فهو كذلك, ودرهم اكتسب بمُباح وأُنفق في شهوة مباحة, فذاك لا له ولا عليه.

هذا أصول الـدراهم, ويتفـرع أُخَـر: منها درهم اكتسب بحق وأُنفق في باطـــــــل, ودرهم اكتسب بباطل وأنفق في حـــــــق, فإنفاقه كفارتــه, ودرهم اكتسب من شــبهة فكفارته أن ينفق في طاعـــــــة. وكما يتلق الثـواب والعقـاب, والمـدح والـذم بـإِخراج

4 (?) حلية الأولياء 3/135.

الــدرهم, فكــذلك يتعلق باكتســابه. وكــذلك يســأل عن مســتخرجه ومصــروفه من أين اكتسبه, وفيم أنفقه؟[1].

قال ميمون بن مهران: لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام جزءاً من الحلال[2].

قال زبير بن الحارث: ألف بعرة أحب إليّ من ألف دينار[3].

والدنيا على كبرها في أعيننا إلا أنها في الواقع حقيرة صغيرة.

قال أبو الدرداء: أهل الأموال يأكلون ونأكل, ويشربون ونشرب, ويلبسون ونلبس, ويركبون ونركب, ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر إليها معهم, وحسابهم عليها ونحن براء[4].

لقد ورث الإمــام البخــاري تركة عظيمة من أبيه العلامة إســــــــماعيل, ولم يكن

---

1 (?) الفوائد ص222.
2 (?) الورع لإمام أحمد بن حنبل ص44.
3 (?) السير 5/296.
4 (?) السير 2/350.

إســماعيل في تجارته كســائر النــاس من التجــار الــذين قد لا يتورعــون عن بعض الأمــور, أو يقع من عمــالهم ومســاعديهم شــيء من التســاهل والخطــأ, فيقعــون في أمــور يلــزم اجتنابها والحــذر منهــا, وهكــذا تصــبح الأمــوال المكتســبة منها موضع شك وارتيــاب, ولكن إســماعيل كــان حــذراً في تجارتــه, محتاطــاً في اكتســابه فقد كــان مجتنبــاً بعيــداً كل البعد عن جميع مواضع الشــبهات, وقد قــال ذلك لأحيد بن حفص, وكان من أخص تلاميذه, عند وفاته:

لا أعلم من مالي درهمــاً من حــرام, ولا درهماً من شبهة[1].

وتعجب أبو حفص لهذا القول الذي يدل على أن إسماعيل كان مبالغاً في الاحتيــاط واتقــاء الشــبهات, وفي الــوقت نفسه كــان يريد أن يوضح لوارثه الــذي كــانت الأقــدار تيهئه ليكــون إمــام الــدنيا, ويلقب بإمــام المحــــــدثين, أن لا يقع في قلبه أدنى شك فيجتنبه, أو يتنازل عنه, بل يســتفيد منه في

---

1 (?) مقدمة الفتح 479.

مشاكله؛ لأنه طاهر وطيب من كل وجه.

وقال محمد بن أبي حاتم عن الإمام البخاري: إنه كان يعطي هذا المال مضاربة, وهى نوع من أنواع التجارة؛ لكي يتفرغ لخدمة العلم النبوي, وكان الله سبحانه وتعالى قد أغناه من كل جهة.

وكان سمحاً, رحيماً, قد أُعطى حظاً وافراً منهما, فذات مرة قطع له أحد الغرماء خمسة وعشرين ألفاً, فقيل له بأن الغريم قد وصل إلى آمل, وبإمكانك أن تأخذ منه الدراهم, فقال لهم: لا ينبغي لي أن أتعبه.

قال محمد بن أبي حاتم: فلما عرف الغريم جهودنا انتقل إلى خوارزم, فقلنا له: استعن بكتاب الوالي إلى حاكم خوارزم (لأن الغريم ليس بعيداً, وبإمكانهم أن يلحقوه بكل سهولة) فقال لهم: إن أخذت منهم كتاباً طمعوا, ولن أبيع ديني بدنياي.

قال محمد بن حاتم: وكان لأبي عبدالله غريم قطع عليه مالاً كثيراً, فبلغه أنه قدم

آمل ونحن بفربر, فقلنا له: ينبغي أن تعبر وتأخذه بمالك, فقال: ليس لنا أن نروعه.

ثم بلغ غريمه, فخرج إلى خوارزم فقلنا: ينبغي أن تقول لأبي سلمة الكشاني, عامل آمل؛ ليكتب إلى خوارزم في أخذه, فقال: إن أخذت منهم كتاباً طمعوا مني في كتاب, ولست أبيع ديني بدنياي.

فجهدنا فلم نأخذه حتى كلمنا السلطان عن أمره, فكتب إلى والي خوارزم, فلما بلغ أبا عبدالله ذلك وجد وجداً شديداً, وقال لا تكونوا أشفق عليَّ من نفسي, وكتب كتاباً, وأردف تلك الكتب بكتب وكتب إلى بعض, فرجع غريمه, وقصد ناحية مرو فاجتمع التجار وأخبروا السلطان, فأراد التشديد على الغريم, فكره ذلك أبو عبدالله, وصالح غريمه على أن يعطيه كل سنة عشرة دراهم شيئاً يسيراً, وكان المال خمس وعشرين ألفاً, ولم يصل من ذلك إليَّ درهم ولا إلى أكثر منه[1].

---

1 (?) الطبقات الكبرى للسبكي 2/226.

وكان يهدف الإمام البخـاري من تجارتـه هـذه (أي المضـاربة) أن ينفـع خلـق اللـه, فكـان يسـاعد أهـل العلم, وطلبـة العلم, والشيوخ المحـدثين, وكـان ينفـق من دخلـه خمسمائة درهم على الفقـراء والمسـاكين, وطلبة العلم, وأصحاب الحـديث كـل شـهر, فكـان يعين طلبـة العلم, ويشـجعهم على الانهماك في طلب العلوم النبويـة, ويحسـن إلى أهـل العلم كثـيراً, ولم يكن يعـرف الـترف والبـذخ في حياتـه في المأكـل والمشـرب, فكـان الصـبر والاحتمـال قـد أصـبحا طبيعةً له.

هِبْ أنك قد ملكت الأرض طُرًّا
ودان لك البلاد فكان ماذا
أليس غدًا مصيرك جوف قبر
ويحثو التراب هذا ثم هذا

قال الحسن: إذا أراد الله بعبد خيراً أعطاه من الدنيا عطية, ثم يمسك فإذا نفد أعاد عليه, وإذا هان عليه عبد بسط له

الدنيا بسطاً.

وقال أبو حازم سلمة بن دينار: إن وقينا شر ما أعطينا لم ننل ما فاتنا[1].

وعن حميد الطويل قال: خطب رجل إلى الحسن, وكنت أنا السفير بينهما, قال: فكأن قد رضيته يوماً اثنى عليه بين يديه, فقلت: يا أبا سعيد وأزيدك أن له خمسين ألف درهم, قال: له خمسون ألف ما اجتمعت حلال, قلت: يا أبا سعيد إنه كما علمت ورع مسلم, قال: إن كان جمعها من حلال فقد ضن بها عن حق, لا والله, لا أجري بيننا صهراً أبدا[2].

وحـــال النـــاس مع الأمـــوال, وزيادتها ونقصـــانها عجيب, ومن أعجب العجيب أنه يهتم بالنقص من ماله, ولا يهتم بالنقص مما هو أعظم من أموال الدنيا!

قال يحيى بن معاذ: عجبت ممن يحــزن على نقصـــان مالـــه. كيف لا يحـــزن على

---

1 (?) صفة الصفوة 2/158.

2 (?) حلية الأولياء 2/156.

نقصان عمره؟![1].

وعندما مرض قيس بن سعد بن عبـادة، استبطأ إخوانه, فقيل له: إنهم يستحون مما لك عليهم من الدين, فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخــوان من الزيــارة, ثم أمر مناديــاً: من كان عليه لقيس حقٌ فهو منه في حــل, قال: فانكسـرت درجته بـالعش؛ لكـثرة من عاده[2].

وكتب غلامٌ لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: أن قصب السكر أصابته آفة, فاشتر السكر فيما قبلك.

قال: فاشتراه من رجل فلم يأت عليه إلا قليل, فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفاً, فأتى صاحب السكر, فقال: يا هذا إن غلامي كان كتب إلي ولم أعلمك, فأقلني فيما اشتريت منك, فقال الآخر: فقد أعلمتني الآن وطيَّبته لك. قال: فرجع فلم يحتمل قلبه, قال فأتاه فقال: يا هذا إني لم آت هذا الأمر من قبل وجهه, فأحب أن

---

1 (?) صفة الصفوة 4/95.

2 (?) منهاج القاصدين ص221.

يسترد هذا البيع, قال فما زال به حتى ردَّ عليه[1].

قال سلمة الفراء: كان رأس مال عتبة الغلام فلساً يشتري به خوصاً -الخوص: ورق المقل والنخل والنارجيل وما شاكلها, واحدته خوصة- يعمله ويبيعه بثلاثة فلوس, فيتصدق بفلس ويتعشى بفلس, وفلس رأس ماله.

أخي المسلم:

دع التهافت في الدنيا ولا يغرنك الاكثار والجشع
واقنع بما قسم الرحمن إن القناعة مال ليس
وخل عنك فضول العيش منتفع[2]

ولو تأمل الناس اليوم في كلمات يسيرة لهانت الدنيا..

قال شميط بن عجلان: إنما بطنك يا بن

1 (?) الورع لابن أبي الدنيا ص105.
2 (?) مكاشفة القلوب ص 285.

آدم شبر في شبر فلِمَ يدخلك النار[1]؟

لا يومك ينساك

ولا رزقك يعدوكا

ومن يطع في الناس

يكن للناس مملوكا

فليكن سعيك لله

فإن الله يكفيكا[2]

كان داود الطائي قد ورث عن أمِّه أربعمائة درهم, فمكث يتقوتها ثلاثين عاماً, فلما نفذت جعل ينقض سقوف الدويرة (تصغير الدار* فيبيعها حتى باع الخشب, والبواري (مفردها البورية): وهى الحصير المنسوج من القصب واللبن حتى بقى في نصف سقفه, وجاءه صديقٌ له فقال: يا ابا سليمان لو أعطيتني هذه فأبضعها لك؛ لعلنا نستفضل لك فيها شيئاً ينتفع به, فما زال به حتى دفعها إليه, ثم فكر فيها فلقيه بعد العشاء الآخرة فقال: أرددها عليّ فقال: ولم ذاك يا أخي؟ قال: أخاف أن يدخل فيها

---

1 (?) الإحياء 3/254.

2 (?) طبقات الحنابلة ص419.

شيء غير طيب فآخذها[1].

تقنع بما يكفيك واستعمل ما تمسي[2]

قال الحسن: بئس الرفيقان, الدينار والدرهم لا ينفعانك حتى يفارقاك[3].

وقال مالك بن دينـار: وددت أن الله عز وجل جعل رزقي في حصـــاة أمصـــها, لا ألتمس غيرها حتى أموت[4].

وقـال محمـد بن سـوقة: أمـران لـو لم نعذب إلا بهما لكنـا مسـتحقين بهمـا لعـذاب الله؛ أحـدنا يـزاد الشـيء من الـدنيا فيفـرح فرحاً ما علم أنه فرحه بشيءٍ زاده قط في دينه, وينقص الشيء من الدنيا فيحزن عليه حزنـاً مـا علم أنـه حزنـه على شـيء نقصـه قط في دينه[5].

قال الشافعي: ما فزعت من الفقر قط, طلب فضول الدنيا عقوبة, عاقب بها

---

1 (?) صفة الصفوة 3/139.
2 (?) التذكرة ص 55.
3 (?) السير 4/576.
4 (?) حلية الأولياء 2/370.
5 (?) صفة الصفوة 3/117.

الله أهل التوحيد[1].

عجبت لمن يخاف حُلول

ويأمن ما يكون من

أتأمن ما يكون بغير شك

الظنونُ[2]

قال أبو صالح حمدون بن احمد: كفايتك تساق إليك من غير تعب ولا نصب, وإنما التعب في الفضول[3].

وما يدري الفقير متى

ولا يدري الغني متى

قال عطاء بن مسلم: عاش داود الطائي عشرين سنة بثلاثمائة درهم[4].

خذ القناعة من دنياك,

البدن[5]

أخي المسلم:

أموالنا لذوي الميراث

ودورنا لخراب الدهر

---

1 (?) السير 10/97.

2 (?) جنة الرضا 1/63.

3 (?) صفة الصفوة 4/122.

4 (?) السير 7/424.

5 (?) موارد الظمآن 3/493.

والنفس تكلف بالدنيا
أن السلامة تركُ ما فيها
فلا الإقامة تنجي النفس
ولا الفرار من الأحداث
وكلِّ نفس لها زرو
من المنية يوماً أو

قال عمرو بن دينار: ما رأيت الدينار والدرهم عند احد أهون منه عند الزهري, كأنها بمنزلة البعر[1].

وعن النعمان بن حميد قال: دخلت مع خالي على سلمان الفارسي بالمدائن, وهو يعمل الخوص, فسمعته يقول: اشتري خوصاً بدرهم, فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم, فأعيد درهماً فيه, وأنفق درهماً على عيالي, وأتصدق بدرهم[2].

العيش ساعات تمرّ وخطوب أيام تــكرّ
اقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعيش حرّ

---

1 (?) تذكرة الحفاظ 1/109.
2 (?) صفة الصفوة 1/541.

فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودرّ[1]

قال سفيان الثوري: العالم طبيب الدين, والدرهم داء الدين, فإذا اجترَّ الطبيب الداء إلى متى يداوي غيره؟[2].

وفي الحكم المنثورة: بشر مال البخيل بحادث, أو وارث[3].

كان المسور بن مخرمة قد احتكر طعاماً كثيراً, فرأى سحاباً في الخريف فكرهه, فقال: ألا أراني كرهت ما ينفع المسلمين؟ فإلى, أن لا يربح فيه شيئاً, فأخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر: جزاك الله خيراً[4].

المرء يجمع, والزمان

ويظل يرقع والخطوب

كان حماد بن سلمة في سوقه, فإذا

---

1 (?) الإحياء 3/25.
2 (?) تذكرة الحفاظ 1/204.
3 (?) مكاشفة القلوب ص124.
4 (?) جامع العلوم والحكم ص132.

ربح في ثوب حبة أو حبتين شد جيوبه وقام[1].

سهرت أعين ونامت
لأمور تكون أو لا تكون
فاطرد الهم ما استطعت
نفس فحملانك الهموم
إن رباً كفاك بالأمس ما
ن سيكفيك في غدٍ ما

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما ضُرب الدينار, والدرهم, أخذه إبليس ووضعه على عينيه وقال أنت ثمرة قلبي وقُرة عيني بك أطغي, وبك أكفر, وبك أدخل الناس النار, رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدني[2].

وقال بعض البلغاء: خير الأموال, ما أخذته من الحلال, وصرفته في النوال, وشر الأموال, ما أخذته من الحرام وصرفته في الآثام[3].

---

1 (?) شذرات الذهب 1/262.
2 (?) صفة الصفوة 1/757.
3 (?) أدب الدنيا والدين ص 214.

كان الليث بن سعد يستغل عشرين ألف درهماً في كل سنة وقال: ما وجبت عليَّ زكاة قط.

وقال حسان بن أبي سنان: لولا المساكين ما اتَّجرت[1].

وقال يونس بن عبيد: إنما درهمان, درهم أمسكت عنه حتى طُلب لك فأخذته, ودرهم وجب لله تعالى عليك فيه حق فأديته[2].

---

1 (?) حلية الأولياء 3/116.

2 (?) حلية الأولياء 3/17.

ترك التجارة للعبادة

قال -عز وجل- محذرًا من الانشغال عن الطاعة والعبادة بأمور الدنيا: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** [المنافقون: 9].

قيل لبشر بن الحارث: بالله يا أبا نصر أيهما أحلى، الدنانير أو الدراهم؟ قال: الطاعة والله أحلى منهما جميعًا[1].

وقال خلف بن حوشب: كنت مع الربيع بن أبي راشد في الجبانة فقرأ رجل: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾** [الحج: 5] فقال الربيع: حال ذكر الموت بيني وبين كثير من التجارة، فلو فارق ذكر الموت قلبي ساعة، لخشيت أن يفسد عليَّ قلبي. ولولا أن أخالف من كان قبلي لكانت الجبانة مسكني إلى أن

---

1 (?) تاريخ بغداد 14/421.

أموت[1].

قال أبو الدرداء: بعث النبي وأنا تاجر، فأردت أن تجتمع لي العبادة والتجارة، فلم يجتمعا، فرفضت التجارة وأقبلت على العبادة، والذي نفس أبي الدرداء بيده، ما احب أن أملك حانوتًا على باب المسجد لا يخطئني فيه صلاة، وأربح فيه كل يوم أربعين دينارًا، وأتصدق بهما كلها في سبيل الله، قيل له: يا أبا الدرداء ما تكره من ذلك؟ قال: شدة الحساب[2].

قــال أبو الــدرداء اعبــدوا الله كــأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم في الموتى، واعلموا أن قليلاً يغــنيكم، خــير من كثــير يلهيكم، واعلموا أن البر لا يبلى، وإن الإثم لا ينسى.

وكان الفضيل بن عياض يقول: أصلح ما أكـــون أفقر ما أكـــون، وأني لأعصي الله أعرف ذلك في خلق حماري وخادمي[3].

وقــال أبو علي الثقفي: يا من بــاع كل

1 (?) صفة الصفوة 3/109.
2 (?) حلية الأولياء 1/209.
3 (?) صفة الصفوة 2/238.

شـــيء بلا شـــيء، واشـــترى لا شـــيء بكل شيء.

وقال: أف من أشـغال الـدنيا إذا أقبلت، وأف من حسرتها إذا أدبرت[1].

فلو كانت الدنيا تنال
وفضل ونقل نلت أعلى
ولكنما الأرزاق حظ
بفضل مليك لا بحلية

قـال أبـو حـازم سـلمة بن دينـار: يسـير الدنيا يشغل عن كثرة الآخرة[2].

يقولون لي فيك انقباض
رأوا رجلاً عن موقف
أرى الناس من داناهم
إكرامًا[3]

وقال مالك بن دينار: السوق مكثرة للمال، مذهبة للدين[4].

أخي المسلم:

---

1 (?) السير 15/282.
2 (?) صفة الصفوة 2/166.
3 (?) السير 17/20.
4 (?) حلية الأولياء 2/385.

قـال ابن مسـعود: إن العبد ليهم بـالأمر في التجارة والإمـارة، حـتى ييسر له فينظر الله إليه فيقـول للملائكـة: اصـرفوه عنـه؛ فإنه إن يســرته له أدخلته النــار، فيصــرفه الله عنـه، فظل يتطـير بقولـه: سـبني فلان وأهـــــانني فلان. وما هو إلا فضل الله -عز وجل-[1].

قــال أبو حــازم ســلمة بن دينــار: إن بضاعة الآخرة كاسـدة، فاسـتكثروا منها في أوان كســادها، فإنه لو جــاء يــوم نفاقها لم تصل منها إلى قليل ولا كثير[2].

وقال عبد الـرحمن بن مهـدي: واللـه لا تجد فقد شيء تركته ابتغاء وجه اللــه، كنت أنا وأخي شريكين فأصبنا عللاً كثيرة، فدخل قلبي من ذلك شيء، فتركته للـه، وخـرجت منـه، فمـا خـرجت من الـدنيا حـتى رد اللـه علي ذاك المــال، عامتــه إليَّ وإلى ولــدي، زوج أخي ثلاث بنات من بني، وزوجت ابنتي من ابنه، ومات أخي فورثه أبي، ومــات أبي فورثتــه أنــا فرجـــع إليَّ وإلى ولـــدي في

---

1 (?) جامع العلوم والحكم ص228.

2 (?) صفة الصفوة 2/163.

الدنيا[1].

تجرد من الدنيا فإنك إنما
مجرد[2]

أخي المسلم:

قال الحسن: مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب، وحرامها عذاب، إن أخذه من حله حوسب به، وإن أخذه من حرام عذب به، ابن آدم يستقل ماله، ولا يستقل عمله، يفرح بمصيبته في دينه، ويجزع من مصيبته في دنياه[3].

وقيل لعبد الله بن عمر: توفي فلان الأنصاري. قال رحمه الله. فقيل: ترك مائة ألف، قال: لكن هي لم تتركه[4].

أموالنا لذي الميراث
ودورنا لخراب الدهر
تلك المنازل في الآفاق
أضحت خرابًا وضاق

قال أبو الدرداء: الحمد لله الذي جعل

1 (?) صفة الصفوة 4/6.
2 (?) وفيات الأعيان 5/54.
3 (?) الإحياء 3/224.
4 (?) الزهد لابن السري 10/335.

الأغنياء يتمنون أنهم مثلنا عند الموت، ولا نتمنى أننا مثلهم حينئذ، ما أنصفنا إخواننا الأغنياء، يحنوننا على الدين، ويعاودوننا على الدنيا[1].

أخي المسلم: غوائل المال وآفاته، تنقسم إلى دينية ودنيوية:

أما الدينية فثلاث:

الأولى: أنه يجر إلى المعاصي غالبًا؛ لأن من استشعر القدرة على المعصية، انبعثت داعيته إليها.

والمال نوع من القدرة يحرك داعيته إلى المعاصي، ومتى يئس الإنسان من المعصية، لم تتحرك داعيته إليها.

ومن العصمة أن لا تجد، فصاحب القدرة إن اقتحم ما يشتهي هلك، وإن صبر لقي شدة في معاناة الصبر مع القدرة، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء.

الثانيــــة: أنه يحــــرك إلى التنعم في المباحـات، حـتى تصـير له عـادة وإلفًـا، فلا يصبر عنهـا، وربما لم يقـدر على اسـتدامتها

1 (?) السير 2/350.

إلا بكسب فيه شـــبهة، فيقتحم الشـــبهات، ويــترقى إلى آفــات من المداهنة والنفــاق؛ لأن من كـــــثر ماله خالط النـــــاس، وإذا خالطهم لم يسلم من نفاق وعــداوة وحسد وغيبـــة، وكل ذلك من الحاجة إلى إصـــلاح المال.

الثالثـة: وهي الـتي لا ينفك عنها أحـد، وهو أن يلهيه ماله عن ذكر اللــه، وهــذا هو الداء العضال، فإن أصل العبـادات ذكر الله -تعــالى- والتفكر في جلاله وعظمتـه، وذلك يستدعي قلبًا فارغًا.

وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرًا في خصومة الفلاحين، ومحاسبتهم وخيانتهم، ويتفكر في منازعة شركائه في الحدود والماء، وأعوان السلطان في الخراج، والأجراء على التقصير في العمارة، ونحو ذلك.

وصاحب التجارة يمسي ويصبح متفكــرًا في خيانة شــريكه، وتقصــيره في العمــل، وتضييعه المال.

وكذا سـائر أنـواع المـال، حـتى صـاحب

المجمـوع المكنـوز يفكر في كيفية حفظـه، وفي الخوف عليه.

ومن له قوت يوم بيوم فهو سـلامة من جميع ذلـك، وهـذا سـوى ما يقاسـيه أربـاب الأمـوال في الـدنيا، من الخـوف، والحـزن، والهم، والغم، والتعب.

فـإذا تريـاق المـال أخذ القـوت منـه، وصرف الباقي إلى الخـيرات، وما عـدا ذلك سموم وآفات[1].

قال يحيى بن معاذ: مصيبتان لم يسـمع الأولـون والآخـرون بمثلهما في ماله (أي في مال الإنسان) عند موته، قيل: مـا همـا؟ قال: يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله.

يريد المرء أن يعطى مناه
ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي
استفادا[2]

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: أبو الدرهمين أشد حبسًا، أو قال أشد حسابًا

---

1 (?) مختصر منهاج القاصدين 4/2 وما بعدها.
2 (?) طبقات الشافعية 2/184.

من ذي الدرهم[1].

[1] (?) الإحياء 4/210.

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي تكتسب به صفة القناعة

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان:

الصبر، والعلم، والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور:

الأول: الاقتصاد في المعيشة، والرفق في الإنفاق، فمن أراد القناعة، فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخرج ما أمكنه، ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه، فيقنع بأي طعام كان، وقليل من الإدام، وثوب واحد، ويوطن نفسه على ذلك، وإن كان له عيال، فيرد كل واحد إلى هذا القدر.

قال النبي ﷺ: «**ما عال من اقتصد**»[1] وفي حديث آخر: «**التدبير نصف العيش**»، وفي حديث آخر: «**ثلاث منجيات: خشية الله -تعالى- في السر والعلانية، والقصد في الغنى**

---

[1] (?) رواه أحمد.

والفقر، والعدل في الرضى والغضب».

الثاني: إذا تيسر له في الحال ما يكفيه، فلا يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل، ويعينه على ذلك قصر الأمل، واليقين، بأن رزقه لا بد أن يأتيه، وليعلم أن الشيطان يعده الفقر.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله أنه قال: «**إن روح القدس نفث في روعي، أنه ليس من نفس تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله -عز وجل-، إنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته**».

وإذا انسد عنه باب كان ينتظر الرزق منه، فلا ينبغي أن يضطرب قلبه، فإن في الحديث: «**أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب**».

الثالث: أن يعرف ما في القناعة من

عز الاستغناء، وما في الطمع والحرص من الذل.

وليس في القناعة إلا الصبر عن المشتهيات والفضول، مع ما يحصل له من ثواب الآخرة، ومن لم يؤثر عز نفسه عن شهوته، فهو ركيك العقل، ناقص الإيمان.

الرابع: أن يكثر تفكره في تنعم اليهود والنصارى وإرذال الناس، والحمقى منهم، ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والصالحين، ويسمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم، ويخير عقله بين مشابهة أرذال العالمين، أو صفوة الخلق عند الله -تعالى- حتى يهون عليه الصبر على القليل، والقناعة باليسير، وأنه إن تنعم بالأكل فالبهيمة أكثر أكلاً منه، وإن تنعم بالوطء فالعصفور أكثر سفادًا منه.

الخامس: أن يفهم ما في المال من الخطر، كما ذكرنا في آفات المال، وينظر إلى ثواب الفقر، ويتم ذلك بأن ينظر أبدًا إلى من دونه في الدنيا، وإلى من فوقه في الدين، كما جاء في الحديث من رواية مسلم أن رسول الله قال: «**انظروا**

إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»[1].

وعماد الأمر: الصبر وقصر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل لتمتع دائم، فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لما يرجو من الشفاء.

كان الأوزاعي الفقيه كثيرًا ما يتمثل بهذه الأبيات:

المال ينفذ حله ... يومًا ويبقى بعده آثامه
ليس التقي بمتق لإلهه ... حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يجني ويكسب أهله ... ويطيب من لفظ الحديث كلامه
نطَق النبي لنا به عن ربه ... فعلى النبي صلاته وسلامه[2]

رزقنا الله جميعًا الرزق الحلال الطيب المبارك، وجعل ما في أيدينا عونًا على الطاعة، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

---

1 (?) رواه مسلم.
2 (?) طبقات الحنابلة 1/405، أدب الدنيا ص 214.

الفهرس